

التحصينات الدفاعية بقلعة بني عباس ببجاية ما بين القرنين السادس عشر

والتاسع عشر الميلاديين .

أ. بودرواز عبد الحميد

1 – موقع قلعة بني عباس:

تعد قلعة بني عباس من بين أهم المناطق العمرانية التي بنيت على سفوح الجبال ، على غرار قرية الجعافرة، وقرية "إسرافيل" القريبة من بني معوش ببجاية والتي يصعب الارتقاء إليها⁽¹⁾، إذ هي بمثابة قلعة جوية كما قال فايست⁽²⁾، وقد أدت دورا بارزا في تاريخ المنطقة الممتدة على طول سلسلة جبال البيبان.

تقع قلعة بني عباس فوق موقع رملي حصوي، ضمن سلسلة جبال الونوغة، التي أصبح الجزء الشمالي منها يسمى سلسلة البيبان، حيث حطت في مركز ميلان حقيقي للجبل المسمى تاقربوست، فوق الهضبة الأكثر منعة⁽³⁾، والتي لا يمكن الوصول إليها إلا من درب واحد⁽⁴⁾. يحدها من الشمال منطقة بني عيدل، و يكتنفها من الشرق والجنوب الشرقي كل من قبيلة أولاد بليل وسهل مجانة، أما من الغرب فمنطقتا تازمالت وبني منصور، كما يحدها من الجنوب جبل مزيتة وونوغة (الصورة رقم :01).

تحتل قلعة بني عباس موقعا إستراتيجيا هاما بوجودها في أعالي الضفة اليمنى من واد الساحل أو واد أقبو، فهي وفق إحدائيات لامبيير تقع بين خطي طول س س (641,51 و 642,60)، ودائرتي عرض ع ع (4017,00 و 4018,20)، حيث يبلغ ارتفاعها حوالي 1084م عن مستوى سطح البحر ضمن جبل تاقربوست البالغ ارتفاعه حوالي 1297م، الذي يمثل جزءا هاما من سلسلة البيبان، التي تمتد من سور الغزلان غربا إلى سطيف شرقا، ومن خراطة إلى القرقور شمالا، ويبلغ متوسط ارتفاع هذه السلسلة حوالي 1417م. متميزة في ذلك بقممها الكوارتزية والكلسية، وبمضايقها ومخانقها التي تتكون منها الوديان، والمجاري المائية.

2 _ تضاريس قلعة بني عباس:

بنيت القلعة فوق صخرة ذات تكوين رسوبي صاعدة، منفصلة عن نظام التجاور في وضعها الطبقي، والذي يظهر لنا النمط الأفقي للموضع، مشكلا حزاما ضخما يتكون من عدد كبير من الأربطة

1- عزوق (عبد الكريم)، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، (2007م - 2008م)، ص 149.

2- Vayceette (E.); " notice sur les canons de la Kalaa des Beni Abbés", recueil de Constantine , 1865, p31.

3- Carette (E.); **Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années** (1840, 1841, et 1842), Etude sur la Kabylie, imprimerie nationale, Paris ,p 354 .

4- Feraud (L. ch); **Histoire des villes de Constantine, "Bordj Bou Arreridj"**, in recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, N° 15, 1871, 1872, Paris, p 185.

المشكلة جدارا عموديا⁽⁵⁾، بالإضافة إلى المنعة التي اكتسبتها من منحدراتها التي تتجاوز في بعض الأحيان 500م، والتي يبلغ عددها عشرين منحدرًا تقريبًا. حيث ذكر الرحالة حمدان خوجة منحدراتها قائلاً: "... وفيها مدينة تسمى القلعة، لا يتم الوصول إليها إلا بشق الأنفس وبما أنني لم أتمكن من الذهاب إليها راكبًا فإنني قطعت الطريق راجلاً لأراها، وإنه لطريق وعر ومنحدر جدا، إلى درجة أننا عندما يتسلفه ثلاثة أشخاص بالتتالي، نرى رأس الثالث عند قدمي الأول"⁽⁶⁾.

3_ العمارة العسكرية في القلعة:

تمثل العمارة العسكرية بتحصيناتها المختلفة، الطبيعية منها والإنشائية من أبراج وقلاع وحصون، وأسوار، الوعاء الحامل والمحيط بالوحدات المعمارية في الفضاء العمراني للمدينة والريف معا، ويعتبر السور فيها من المعايير المميزة للمدن والحوضر.

وُضِعَت شروط عدة لتكون أرضية تقوم عليها العمارة الحامية، وعلى رأسها الموقع الحصين تحصينا طبيعيا، والذي يساهم في فعالية الدفاع عن الفضاء العمراني الذي تحتضنه الأرضية المحصنة إضافة إلى استعمال الأسوار كعامل من أهم العوامل المحققة لهذا الهدف، وهذا في ظل اعتماد الأساليب الدفاعية والهجومية وتطورها تدريجيا بحسب الثغرات التي تظهر من حين لآخر⁽⁷⁾. لكن تطور الفن الحربي الدفاعي أو الهجومي مقرون بمدى تطور الأنظمة الحربية والأسلحة، حيث يعد اكتشاف المدفع في نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، حدثا تاريخيا في العمارة العسكرية كما يعتبر تحولا خطيرا في تاريخ البشرية، وهي منوطة بنوع الجيش وتنظيماته الحربية كذلك⁽⁸⁾. ونجد مثلا للمدن والقرى المحصنة تحصينا دفاعيا فعّالا في ما أحاط ببجاية من ضواح وأرياف، كل من مدينة قلعة بني عباس الموصدة بجدار مدعم بعدة مدافع تحمي مدخلها، وقرية ترونة الواقعة جهة بني خيار من بني معوش، وإيراسن الواقعة في بني شبانة، وهي النماذج الوحيدة تقريبا في ريف بجاية التي تملك وسائل دفاعية⁽⁹⁾، بالإضافة إلى حصن تميزت بركنته.

إن العمارة العسكرية واستحكاماتها ببجاية وضواحيها بمختلف أنواعها وأشكالها من قلاع وحصون، سعى السكان من خلالها لحفظ الأمن والاستقرار منذ العهد الحمادي بها، وكذا في العهد الموحيدي، ونهاية العهد الحفصي، الذي مثل في نهايته مرحلة الضعف والانحطاط، وتكالب الأمم الأوروبية على سواحل شمال إفريقيا. وبجاية من بين أهم المناطق التي احتلها الأسبان عام 1510م.

5- Feraud (L. ch) ; **Op.Cit.**, p185 .

6- خوجة (حمدان بن عثمان)، المرأة، تقديم و تعريب وتحقيق محمد العربي الزبييري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 67.

7- عثمان(عبد الستار)، المدينة الإسلامية، دار الأفاق العربية، ط1999، ص 135-136.

8- خلاصي(علي)، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، المتحف الوطني للجيش، الجزائر 1985، صص 05-13.

9- Carette(E.) ; **Op.Cit.**, p310.

وفي ظل هذه الظروف ومجيء العثمانيين، ممثلين في الأخوين عروج وخير الدين بربروس: ظهرت إحدى أهم الإمارات المحليّة بالجزائر، ممثلة في إمارة قلعة بني عباس بضواحي بجاية، بالموازاة مع ظهور إمارة محلية ثانية هي إمارة أبناء القاضي بجبل كوكو، وكان للإمارتين دور في مسرح الأحداث السياسية والعسكرية لهذا العهد، إذ سعى كل من الأميرين المحليين عبد العزيز العباس وأحمد بن القاضي، للسيطرة على منطقة قبائل زاووة الكبرى والصغرى، وتمخّض عن ذلك صراع دائم بينهما، حاولت السلطة العثمانية بالجزائر استغلاله وتفعيله خدمة لأغراضها التوسعية. كما حاولت بين الفينة والأخرى عقد حلف مع أحدهما لكسر شوكة الآخر. ونذكر فيما يلي أهم الاستعدادات التي قام بها أمراء قلعة بني عباس في الجانب المعماري والتخطيطي سعياً منهم لتحقيق أفضلية أمنة لحكمهم بها بداية بعهد أول أمير على السلطنة.

3_ السياسة العسكرية بالقلعة:

كانت الإستراتيجية الأولى للقلعة كفضاء عمراني، سعى حكامها لتحصينها، إضافة إلى المنعة الطبيعية التي تميّزها، منذ عهد السلطان أحمد الأول قبل الاحتلال الأسباني لبجاية، واستطاع هذا السلطان بفضل حنكته السياسية والعسكرية وتَمَيُّزِهِ بالورع، تسيير أمور القلعة السياسية والاجتماعية، وهذا منذ أول مواجهة له ضد إمارة كوكو، وانتصاره عليهم باستعمال وسائل بدائية كالحجارة الضخمة وجذور الأشجار⁽¹⁰⁾، والتحق به بعد هذا الحدث محاربون من قلعة بني حماد، ونظّمهم في شكل جيش هم وكل الفارين إليه من الجنود⁽¹¹⁾. كما كان لابنه السلطان عبد العزيز قوة ودهاء حربياً استطاع به أن يوصل نفوذه نحو الجنوب وعمالة تونس⁽¹²⁾، وفي كل الجبال المجاورة، وتحالف أيضاً مع الأسبان في بجاية لتمويله بالبارود والبنادق مقابل المؤونة كما بعثوا له عمالاً من أجل تقوية القلعة في أجزائها السهلة الاختراق (جهة باب عجي)⁽¹³⁾، ويؤكد الحسن الورثياني قوة هذا الرجل في قوله: "...وولده (عبد العزيز) هو الذي بنى قلعة بني عباس وأقام المملكة فيها بأن أسس العساكر وجيَّش الجيوش وأخذ المغرم في القرن العاشر بأن وصلت عساكره عمالة تونس، وواودي ريغ في الصحراء، ومن جهة الغرب مزاب وبلد الأعواط، وهم كذلك في المملكة ثمانون سنة كما سمعته من بعض الفضلاء من علماء القلعة"⁽¹⁴⁾.

- 10- Ferraud (L.) ; **Recueil de Constantine...**, p210.
11- **Ibid** , p210.
12- **Idem**, p210.
13- الميلي (مبارك بن محمد)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الثقافة، بيروت، ط 1964، ج3، ص ص 94-95.

14- عباد(صالح)، **الجزائر خلال الحكم التركي (1515م-1830م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع

الجزائر، 2005م، ص ص 75-76. وأنظر أيضاً: Ferraud (L.) ; **Op. Cit**, p210.

لقد قامت هذه الشخصية بإسهامات جمّة في إرساء دعائم الحكم العثماني بالجزائر في مواقع عدة أهمها مساهمته بمعيّة حسن باشا باسترجاع تلمسان عام 1552م⁽¹⁵⁾، وكذا قيامه باستعادة ورقلة وتوقرت عام 1553م. حيث بلغ عدد جنود عبد العزيز 10000 جندي، وكان فرسانه مقسمين إلى جزئين في كل من: نالة مزيدة، وتازلة القريبتين من القلعة، وقام فيهما ببناء برجين لإسكان الفرسان والخيول، كما كانت هاتان الوحداتان العسكريتان في خدمة مندوب السلطان الذاهب للمهمة المكلف بها⁽¹⁶⁾. لقد قام الأمير عبد العزيز أيضا مرارا بتحسين الطرقات وتجديد بناء حصن القلعة كلما دعت الضرورة إلى ذلك. سعى الأمير أحمد أمقران بعد وفاة أخيه بفضل فكره المليء بالإنسانية والعدالة إلى تولي إدارة مملكته الصغيرة بحكمة وحقق، حيث هيا جيشا منظما دعا إليه عصاة الجزائر والمسلمين من النصارى (به 8000 رجل من المشاة و 3000 فارس) وجاب واحات الزاب، ووضع كل من طولقة وبسكرة تحت سيطرته، واندفع إلى غاية توقرت. كما قام بإنشاء العديد من المحطات العسكرية التي وضع فيها قوات تغيرت إحداثيتها من أجل منع العلاقات الكثيرة بين جنوده القبائليين وبين السكان في المناطق الخاضعة لحكمه، وهذا دليل على الدهاء الحربي في الإستراتيجية العسكرية، واستعمال المناطق المرتفعة من الناحية (منطقة القلعة) كذلك، كمجموعة من محطات الإشارة (الشوافت)، والتي تعمل بالدخان نهارا وبالنار ليلا، لنقل مستجدات الجنوب بسرعة إلى القلعة ومن أهم هذه المحطات:

_ محطة عقبة الصنادك(ق) في قمّة جبل القلعة.

_ محطة تافرطاست فوق ذراع مثنان قرب مجانة برج بوعريرج.

_ محطة رأس جبل قطاف.

_ محطة رأس جبل سالة⁽¹⁷⁾.

لم ينس هذا القائد من يتصلون به قرابة ونسبا، فلم يفرض عليهم الضرائب، وأوصل القلعة إلى درجة كبيرة من الرخاء الاقتصادي والمعيشي، فبنى الدور وهيا الطرق والعيون، وأنشأ المدارس العلمية للطلبة، وقسم الأراضي على الفلاحين، وعيّن اسم ملكية كل واحد عليها⁽¹⁸⁾.

أما عهد ابنه سي ناصر فتميّز بتسريح الجيوش وطرد قداماء المحاربين مع أبيه أحمد أمقران بعد وفاته عام 1600م، مما فتح باب العصيان والتمرد في كل المقطعات التابعة للقلعة في الجنوب والنّ، وزوال وميض القلعة بعد وفاته⁽¹⁹⁾.

15- الورتلاني (الحسين بن محمد الشريف) ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، المشهور بالرحالة الورتلانية – بيروت لبنان، الطبعة الثانية منذ 1394هـ/1984م، ص 36.

16- كاربخال(مرمول)، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، د محمد مجي، محمد زنيبر وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع الرباط، 1988م – 1989م، ص 386.

Ferraud (L) ;Op. Cit., pp216-217. -17

Ibid. p229. -18

Ferraud (L) ;Op. Cit., p332. -19

5_صناعة الأسلحة بالقلعة:

أُكِّت مجموعة من المسيحيين الذين أسلموا على تعليم سكان البربر ومنهم بنو عباس كيفية التعامل مع الوسائل الحربية المتطورة بعدما قام الأمير عبد العزيز بجلب مدافع أربعة بمعية الأسيان إلى القلعة ووضعها في جدار باب عجي. كما يعد سكان بني عباس أقوى القبائل الأمازيغية في العهد العثماني. حيث يملكون أكثر من 3000 فارس و 1500 حصان، وهذا إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر (الجدول رقم:01)، ويسكنون عددا كبيرا من القرى ويصنعون في القلعة - مركز حكمهم- أسلحة نارية ذات جودة عالية. حيث تعددت المناطق التي استعملت كورشات لتصنيع الأسلحة والمنتشرة في ربوع الوطن وتُشغّل تازيرت أكبر عدد من الأيدي العاملة بإقليم القلعة. حيث كان الحديد يجلب من الجزائر في العهد العثماني لكن الفرنسيين أعاقوا هذه التجارة، فتحول بنو عباس إلى استخدام حديد بلاد القبائل ومنطقة برباشة بمنطقة بجاية، وهو أقل جودة من سابقه⁽²⁰⁾. كما وُضف في صنع قسم من السلاح خشب الجوز أو الزان، ويحدثنا العديد من مؤرخي الفترة الفرنسية بالجزائر عن هذه الصناعة، وكذا صناعة المدافع بالقلعة التي عرفوها وأتقنوها بعد قدوم أحد العثمانيين الفارين من الجزائر إليها، وعلمهم هذه الصناعة، ثم انتقل إلى منطقة جمعة صحريج قرب مشدالة بواد الصومام⁽²¹⁾

يعطينا فايست وصفًا للمدافع الأربعة التي جلبها الأمير عبد العزيز العباس إلى القلعة، إثنان منها من عيار 36 ومن أصل فرنسي إذ عليهما زنبقة مرفقة بحرف L ذو التاج الملكي⁽²²⁾ (الشكل رقم:01)

والثالث أصغر منهما بكثير أما الرابع فمكسور وهو الآن متناثر الأجزاء ويوجد واحد منها تحت شجرة في قرية أولاد حمادوش، والآخرا ن قرب مسجد أولاد يحيى بن داود، ولا يزال الأهالي يحتفظون ببعض المفاهيم الدقيقة عن حمولة هذا القطع ويقولون أن أكبرها يحمل قنبلة تزن 18 كلغ وتقذف لمسافة 6 كلم من البارود في كل طلقة⁽²³⁾.

كانت المدافع حسب فايست في أول الأمر بمنطقة "بوني" البعيدة بأربعة فراسخ من القلعة، حيث يتميز أحدها بروعة الصناعة والمصنوع من البرونز، بطول المترين وبقطر فوهته الداخلية البالغ 30 سم، وبه 8 صفوف من الأزهار في الجهة العلوية منه، وبالقرب من مشعل غرفة النار نجد حرف L منقوشا وعليه التاج الملكي (الشكل رقم: 02)، كما نجد كذلك أسماء عبرية في أسفل المدفع في إطار زخرفي وهي تعود لنقاشين يهود⁽²⁴⁾. المدفع الثالث أكبر بعشر سنتيمتر من الأولين في الطول، ولا توجد فيه أية

-
- 20 Gaid(M) ; *Les berbères dans l'histoire*, Alger 1990, T 3.,P28.
-21 Pélissier(E) ; *Annales Algériennes, contenant le résumé de l'histoire de l'Algérie de 1848à 1854 et diverses Mémoires et documents, T3, Paris, 1854.,T2,p87. Voire encore :*
Carette(E) ; *Exploration scientifique ...*, p311.
-22 Vayssette (E) ; *Op, Cit.,p33.*
-23 Vayssette (E) ; *Op, Cit. , p33 .*
-24 Carette(E) ; *Op, Cit.,p325.*

رموز ولا ختم ورشة صناعة، لكن شهادات سكان القلعة تبين أنه صنع من طرف النصراني الذي أسلم (الحاج عبد الله عالج). كما نجد بعض العمّال الأسبان كانوا يعملون في مسبكه (المصهرة) المدافع في مركز القلعة بعد أن أسلموا⁽²⁵⁾. لقد تمّ العثور على مدفع بقلعة بني عباس سنة 2008م بعد قيام أحد المواطنين بالحفر لإعادة بناء مسكنه (اللوحة رقم:01)، وهو دليل مادي حيّ على المعطيات التاريخية المقدمة حول مدافع القلعة، إضافة إلى بعض القطع والأجزاء من كرات المدافع وماسورات البنادق المحفوظة بالمتحف المحلي بمدرسة القلعة. وكانت ملاحه البارود موجودة بواد أولاد عيسى تحت قرية بلعيل، ويجلب منها مادة الملح المهمة في القرن 16م، مع نترات الملح في صناعة البارود. لكن لخضر درياس⁽²⁶⁾ يفنّد الطرح الذي قدمه فايست حول أصل هذه المدافع، خاصة المدفع الذي يحمل اسم الصانع النصراني الذي أسلم (الحاج عبد الله عالج) ، ويؤكد أن هنالك تضاربا في الأسماء الواردة على المدفع زمنيا ، مما يفتح المجال لطرح التساؤلات العديدة حول أصل المدفع، وعلاقة الصراع كذلك، التي كانت بين أوروبا المسيحية ودول شمال إفريقيا المسلمة

5_ الأبواب الرئيسية للقلعة:

تعتبر منطقة بوني الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة الرابطة بينها وبين مجانة النقطة الوحيدة التي تستطيع من خلالها الجيوش الاقتراب من محيط القلعة، إضافة إلى تضاريسها التي تعدّ بمثابة فاصل بين منطقة العرب ومنطقة القبائل (الناطقون بالأمازيغية) ، ويجسد هذا الفاصل مجال مفتوح في جدار صخري كأنه باب، بقرية الجديدة التابعة سابقا لإمارة القلعة⁽²⁷⁾ (الصورة رقم:02).

نجد بالقلعة أربعة أبواب تحيط بقراها الثلاث، أولها باب عجي (أوعجي)، وهو المجال الذي يتمّ من خلاله الدخول إلى الفضاء العمراني للقلعة والواقع في الجهة الجنوبية الغربية، على ارتفاع 1133م عن مستوى سطح البحر، حيث لا يزال به قسم من السور متصل به والذي بُني على عهد عبد العزيز العباس بمساعدة الأسبان (القرن 16م)، (الصورة رقم:03)، ويفوق عرض جدار السور المتصل به المتر ونصف المتر، حيث تم وضع القرميد أعلاه لحمايته من الأمطار المتلفة لملاطه الجيري الضام للحجارة ، كما نلمح بالقسم الباقي من آثار السور وبقربه ملامح الملاط في أرض التأسيس الواقعة على هضبة صخرية. هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى نجد باب البرج يقع قرب برج المراقبة، ويقع في الجهة الشمالية الغربية من قرية أولاد حمادوش على ارتفاع 1102م عن مستوى سطح البحر، ويطلّ على بساتين الزيتون أسفل القلعة، حيث لا يزال على شكله الأصلي دون الباب الخشبي المنذر، وبسقفه المشكل من الأخشاب والقرميد، يتخذ شكلا منحنيا إلى الداخل، وبه مسطبتان (دكانتان) حجريتان في

Vayssettes(E) ; Op, Cit., p 32.

- 25

Ibid,p33.

- 26

27- درياس(لخضر)، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007، ص ص 32...37.

الجانبين تستعملان للجلوس، باعتبارها أحد مقرات تاجماعت بعد عهد السلطنة والإمارة (الصورة رقم:04)(28).

أما الباب الثالث فهو باب العسة، ويقع أسفل حي تازيرت بقرية أولاد عيسى على ارتفاع 1065م عن مستوى سطح البحر. لقد اندثر هذا الباب كلياً ولم تبقى إلا أرض التأسيس (الصورة رقم:05).

يقع باب الجبل الباب الرابع بالقلعة في أعلى قمة الجبل، على ارتفاع حوالي 1215م عن مستوى سطح البحر، وهو يطلّ على القلعة وبالقرب من قمة تقربوست (الصورة رقم:06). لكن لم يبق من آثار هذا الباب شيء كذلك.

كما نجد بالقلعة أيضاً فضاء معمارياً هو نادي الضباط ، حيث يقع في قرية أولاد حمادوش قرب ساحة لوطه علي، ويعدّ المحكمة العسكرية لمملكة بني عباس في القرن 16م، حسب ما يرويه سكان القلعة وأعيانها. ويفصل بينه وبين جامع أحمد أمقران مسلك يقود إلى وادي أولاد حمادوش أسفل القلعة (الصورة رقم:07).

يتخذ هذا البناء شكلاً مضلعاً تفوق مساحته 200م² ، وهو عبارة عن أطلال بما بقي من أقسام بنائية به (أنظر المخطط رقم:01)، تقع الواجهة الرئيسية لهذا المعلم في الجهة الجنوبية الغربية منه ، لها مدخل كبير وحيد يفضي إلى الفضاء الداخلي للمعلم ، ونجد في الركن الأيمن من هذا الجدار انكساراً به، أما الجدران الجانبية فقد تعرض الأيمن منهما للسقوط ولم تبقى إلا ملامح نافذة مطلّة على إحدى غرف هذا البناء ، أما الجدار الجانبى الأيسر فيمثل أحد جدران مقهى هذا النادي ولا تميّزه أية خصائص معمارية .

تهدم قسم كبير من الجزء العلوي للجدار الخلفي بالمعلم، الذي يظهر لنا مضاعف البناء، وهي خاصية نجدها كثيراً في العمارة العسكرية، وذلك لإطلالته على الجرف الصخري لواد أولاد حمادوش (الصورة رقم:08 والشكل رقم:03)، وتظهر لنا أرضية التأسيس الصلبة المقامة على صخرة ذات تكوين رسوبي ، ويظهر من خلال هذا الجدار في مستواه السفلي الإتقان المعماري في البناء (أنظر الشكل رقم:04) .

نجد بهذا المعلم بعد المدخل وفي ركنيه دكتان حجريتان بقيت آثار طفيفة لهما حيث يفتح المدخل على فناء رحب ذو شكل مستطيل تقريباً. نجد في الجهة اليمنى منه جداراً يمتد مجالاً اتصالاً بمسطبة الأرضية التي تقودنا إلى غرفتين يصل بينهما جدار أوسط . كما نجد في الركن الأيمن من المعلم غرفة صغيرة كان بها مخزن صغير، أما الغرفة التي تليها والمقابلة للمدخل الرئيس، فيتوجّها مدخل بعتبة أرضية مبنية بالحجارة ، تبين لنا نمط التبليط بأرضية هذا المبنى. ونجد بالركن الأيسر كذلك من مدخل هذه الغرفة آثاراً لتبليس الجدران بالملاط الجيري، وعلى الركن الأيمن ملامح نافذة بالجدار الأيمن لهذا

المدخل، بينما نميّز في الركن الأيسر من هذه الغرفة ملامح باب يفوق ارتفاعها المترين ويتصل الجدار الأيسر المهدم من هذه الغرفة بالجدار الخلفي.

تقع الوحدة الرئيسية من هذا المبنى في الركن الأيسر من المدخل الوحيد له، إذ نجد باب هذه الوحدة معقودا بعقد متجاوز مشكل من الأجر الأصم، تعلوه زخرفة ذات طابع بربري مشكلة عن طريق تراكب قطع القرמיד المنكسر الشكل، وينحسر عددها نحو الأعلى، كما نجد بجانب المدخل نافذة في الجهة اليسرى منه معقودة على نفس الشاكلة بعقد حدوي غائرة في الإطار المستطيل المحيط بها. نجد في أرضية هذا المدخل عتبة حجرية تفضي عبر مدخلها إلى غرفة مستطيلة الشكل كانت مستعملة في بادئ الأمر كمحكمة عسكرية، حسب ما يرويها أعيان القلعة وكبارها، وفي مرحلة ثانية استعملت كمقهى أو ناد للضباط النظاميين، حيث نجد في الركن الأيمن من المدخل وفي جدار تاشرافت (*) والجدار الخلفي لهذه الوحدة ملامح دكانتين حجريتين كانتا بشكل مرتفع (المخطط رقم: 01)، أما في الجهة المقابلة فيرتفع المستوى الأرضي لها بمسطبة أرضية بعرض 3م.

نتبين من خلال نماذج الاستحكامات العسكرية المقدمة بالقلعة، من أسوار وأبواب وأسلحة حربية على رأسها المدافع، وإضافة للحصانة الطبيعية لها التي صعّبت على القوات العثمانية دخولها عبر قرن من الزمن، نجاعة النظام الدفاعي بها، والذي يظهر لنا الجهود التي بذلت من طرف أمراء القلعة وسلطينها، سعيًا منهم وراء الحفاظ على المكانة والقوة للإقليم الذي حكموه، وكذا ما عاد به ذلك على الحياة العامة للقلعة من رخاء إقتصادي. كما كانت كذلك ملاذا للعائلات الفارة من الحروب وكذا لحفظ أموالهم لما لسكان القلعة من أمانة تشهد لهم بها كل القبائل (29).

خاتمة:

ما يمكن قوله ختامًا أن العمارة العسكرية ومرفقاتها بقلعة بني عباس ما هي إلا نموذج بسيط عن نمط من أنماط العمارة التحصينية بالريف الجزائري، التي تهدف في أصلها إلى تحقيق الهدف المتمثل في حماية السكان من الأخطار الممكنة بما يتوافق ومتطلبات الحياة الآمنة في أي فضاء عمراني ريفي أو حضري، وبما يراعيه أصحاب الخطط من استراتيجيات موقعية في توزيع الوحدات المعمارية ذات الطابع التحصيني، وهو ما نجده محترمًا في قلعة بني عباس إلى حد بعيد، لكن هذا لا يسمح الجزم بمطلق الفعالية، مما يفتح الباب واسعًا للخوض في دراسة قلعة بني عباس ببجاية من كل النواحي المعمارية والفنية، بتعدد أنماطها وأشكالها. بكونها فضاء خصبا ومفتوحا أمام الأثريين لفك رموزها والإسهام في تحقيق الغاية المرجوة، وهي السعي لمعرفة الآثار الريفية المتصلة أساسا بالحياة الريفية البسيطة في مجملها، والحفاظ على الموروث المادي للمجتمع المحلي الذي هو جزء لا يتجزأ من تراث المجتمع ككل.

الجدول رقم (01): جدول عام بالقرى المسلحة التابعة لإقليم القلعة

عام 1840 (عن فايسيت).

عدد المسلحين	القرية
500	أولاد حمادوش
400	أولاد عيسى
600	الجبيلية (سكان الجبال)
900	تيفرين (الحقول)
800	أولاد موسى
900	أولاد جمعة
700	أولاد رزين
700	أولاد محمد أو موسى
5500	المجموع العام للرجال المسلحين

El Watan - Lundi 21 avril 2008 - 28

L'ÉPOQUE

BÉJAÏA, QALAA DES BENI ABBÈS

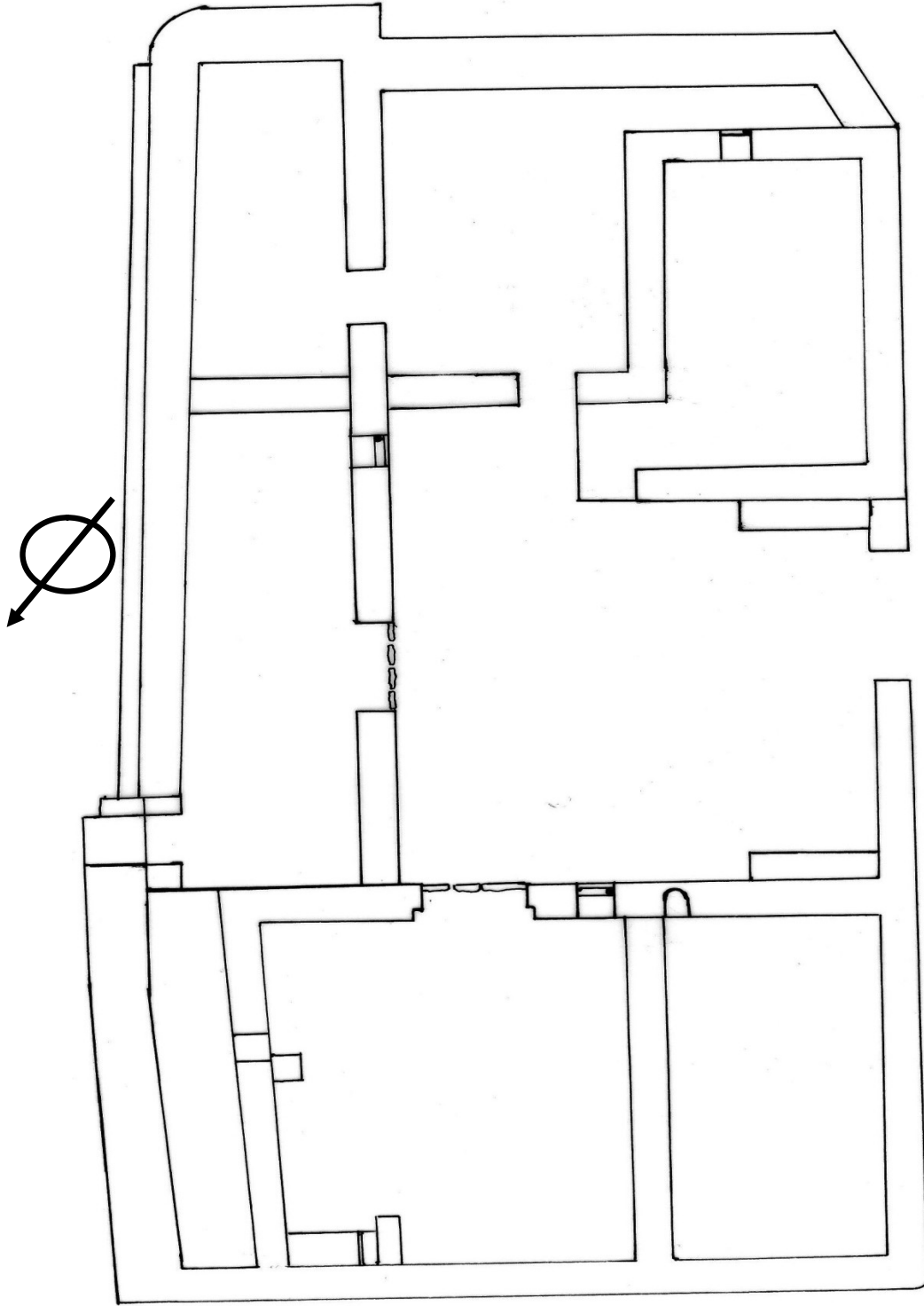
Découverte d'un canon du XVI^e siècle

● Après le port de Tipaza, c'est au tour de Béjaïa de faire une récupération importante.



اللوحة رقم (01): المدفع الذي عثر عليه في قلعة بني عباس

والعائد لعهد السلطان عبد العزيز العباس (القرن 16 م).



ش

المخطط رقم (01): مسقط أرضي لنادي الضباط (بومزراق) حي لوطة علي

بقرية أولاد حمادوش من القلعة. السلم: 1/100 اسم.



الصورة رقم (01): صورة جوية لقلعة بني عباس
من مستوى 20000م.



الصورة رقم (02): المدخل الصخري الرئيسي



لنطاق قلعة

الصورة رقم (03): الواجهة
الرئيسية لجدار مدخل باب عجي بالقلعة.

بني عباس (قرية الجديدة القريبة من بوني.).



الصورة رقم (05): مكان باب العسة المندثر.



الصورة رقم (04): باب البرج.

()



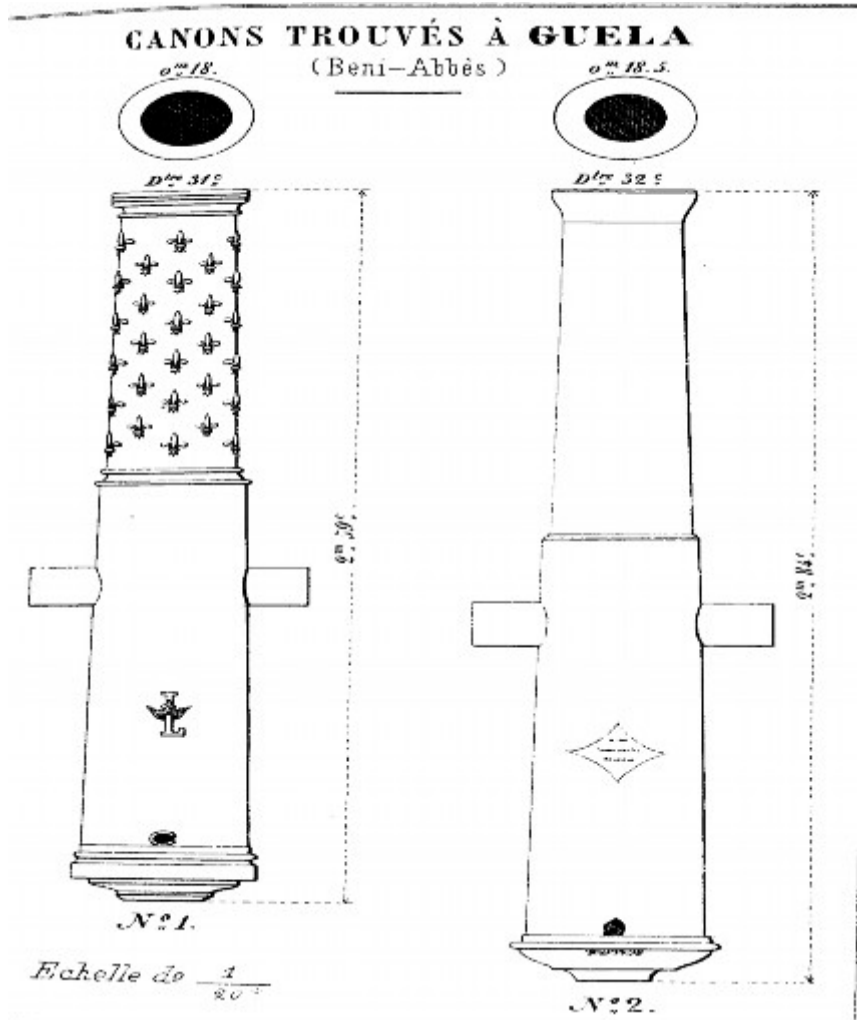
الصورة رقم (06): مكان باب الجبل المندثر.



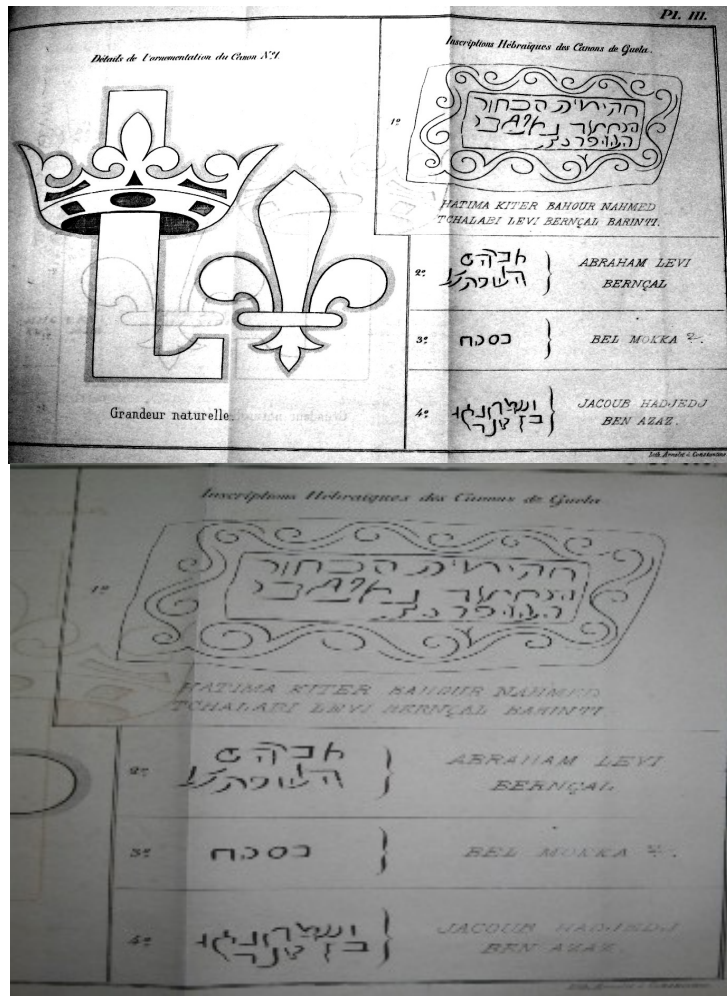
الصورة رقم (07): بقايا نادي الضباط قرب لوطه علي بالقلعة.



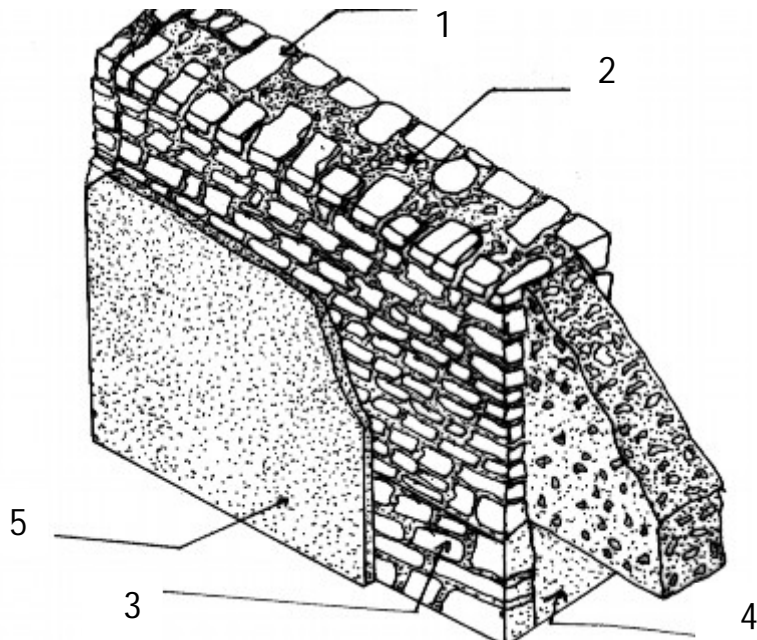
الصورة رقم (08): مستوى أرض التأسيس ونظام الجدران المضاعفة في نادي الضباط.



الشكل رقم (01): الشكل العام لمدافع قلعة بني عباس ببجاية. (عن فايسيت...ص).



الشكل رقم (02): التفاصيل المنقوشة على مدافع قلعة بني عباس (عن فايسيت. لوحة 3 و 4).



الشكل رقم (03): طريقة بناء الجدران المضاعفة ونظام التلبيس.

- 1_ الصف الخارجي لحجارة الجدار . 2_ كتلة الطابية بين الجدارين . 3_ طبقة التلبيس الجصية .
- 4_ أساس الحجارة المشطوفة . 5_ الملاط الضام للحجارة .

الشكل رقم (04): التفاصيل المعمارية والبنائية لنادي الجيش بقرية أولاد حمادوش بالقلعة (من افتراض الباحث). السلم : 1/100 س

